

سلام الحقيقة عليكم وروح المحبة وريحان التضامن والترابط

،الاهل الكرام الاخوة الاصدقاء

منذ البدء كان العقل جوهرًا روحانيًا فاعلا يضبط نظام هذا الكون ويخضعه لقوانينه السببية. ومنذ البدء كان النفس جوهرًا روحانيًا منفعلًا يخرج ما هو موجودا بالعقل بالقوة الى الوجود بالفعل. ومنذ البدء كان الكلمة سفيرًا بين العقل والنفس يجسد ارادة العقل ومشية النفس الكلمة التي تنطق فتسمى فكرا وتتجسد فتسمى عملا. يكون الفكر من العمل بمنزلة اللاهوت من الناسوت بمنزلة المعنى من الحرف بمنزلة السلطة التشريعية من السلطة التنفيذية. وتصل الكلمة الى مجد عظمتها عندما تتجسد لحما ودما انسانيًا على ارض الواقع الاجتماعي لان الانسان لا يمكن تصوره الا كائنا اجتماعيا يفعل بالآخرين وينفعل لهم يرى وجوده على مראה الآخرين ويرى الاخرون وجودهم على مرآة ذاته. هكذا فهم المعلم كمال جنبلاط جوهر الانسان انه تجسد للكلمة الروحانية المنفتحة على العقل الكلي المتصلة به دائما عبر روح قدس المعرفة والعرفان والمعبرة عن وجودها في الواقع المحسوس عملا انتاجيا يعطي الخبز للجائع والثوب للعاري والدواء للمريض الكلمة التي تتجسد مؤسسات ترعى حق الانسان في العلم والعمل والتطور والارتقاء وافكار المعلم بأكملها وميثاق نزيه يستلهمان هذا المفهوم فالانسان هو الغاية والنهاية لانه قبس نوراني انطلق من قرص شمس العقل الكلي الذي سماه شاردان بالطاقة الكونية هذا القبس الذي يمارس وعيه الحر و ارادته الابداعية في لحم ودم جسد المادة كل شيء في خدمة سعادة هذا الانسان وفي خدمة كرامته والانسان ابن المجتمع في جانبه المحسوس، سعادته في العمل المثمر والقوانين العادلة والمؤسسات التي ترعى المصلحة العامة. وهو في جانبه الروحاني المطلق ابن العقل الكلي يسعى دوما لينجذب اليه وينوب في بحره المحيط في قوانينه الازلية السرمدية في جوهر نواميس هذا الوجود. "فالانسان هو جوهر هذا الوجود وغايته ومحجته البيضاء لاجله جسدا وعقلا ولدت الدول من المجتمعات وولدت المؤسسات من الدول لتطویر عقله بنيت المدارس والجامعات وألفت الكتب وابتكرت التقنيات، ولتطویر جسده بنيت المستشفيات ومورست الرياضة وتطور الاستهلاك. لا يوجد في الوجود شيء مقدس الا الانسان لانه الكائن

الوحيد الذي يعقل ذاته ويعقل سائر الموجودات ففقدس الانسان لانه يملك جوهر العقل الذي هو قبس من انوار الالوهية فغدا بهذا العقل خليفة الله على الارض

وبما ان العقل ليس الا القدرة على الاختيار الحر والممارسة الحرة كانت الحرية توأم العقل ووجهه الآخر لا عقل حيث لا حرية ولا حرية حيث لا مسؤولية ولا شيء حيث لا مجتمع فقدر الانسان انه كائن اجتماعي يجب ان يكون حرا كفرد ليكون عاقلا ويجب ان يكون عاقلا كفرد ليحقق وجوده ككائن اجتماعي ثم يعرج في الكمال ليصل الى مرحلة التأله في الحق والخير والجمال والعدالة ليحقق وجوده كجوهر روحاني بسيط خالد في المطلق وذلك عندما يذوب الجزء بالكل كما تذوب "مياه النهر في البحر المحيط"

هذه زبدة عدة مقالات ومحاضرات تركها لنا المعلم زاد معاد ننتفع بها على مقدار فهمنا لها فنحن نسبر اغوارها على مقدار عقولنا لا على مقدار عقل صاحبها وعسى ان يحالفنا التوفيق فنقول ان المعلم اعطى الانسان ابعادا ثلاثة الانسان الفرد، الانسان الاجتماعي، والانسان الكوني. الانسان الفرد اعتبره المعلم مجسما صغيرا لهذا الكون اللامتناهي يحتوي جسده على نفس النسب المئوية للعناصر التي يتركب منها الكون قاطبة فهو جسد كثيف يخضع لقانون الصيرورة في الكبر والصغر والنمو والتحلل "فاعادة التركيب الى ما لا نهاية" ولهذا نرى هذا الجسد يتأثر باي تغيير يطرأ على توازن العناصر المركبة في البيئة التي يعيش فيها واذا طرأ برأي جنبلاط اي تغيير في اي مجرة او كوكب او قارة او بلد واختلت نسب المعادلات فالجسد البشري يتأثر لانه في تناغم مستمر مع جسد الكون وتركيبه عناصره وكما الكون يديره عقل كلي يضبطه في قوانين معلومة تربط النتائج باسبابها كذلك الانسان الفرد يملك نفسا عاقلة هي جوهر وجوده وغايته وشرفه الرفع. وهذه النفس بقدر ما تتشبه بمثلها الاعلى العقل الكلي وتنهدى اليه وتتناغم مع قوانينه بقدر ما تصيب من السعادة والكرامة والسؤدد. فشرف النفس العاقلة الفردية وسعادتها في مزيد من الوعي ومزيد من تحصيل المعرفة والتناغم مع قوانين العقل والطبيعة. ولكن جنبلاط وبفكر جدلي هيروقليطي هيجلي يربط بين العقل والحرية، فالعقل اذا لم يكن مريدا كان عاجزا اي موجودا بالقوة ولا يستطيع ان يكون موجودا بالفعل، والارادة ليست الا القدرة على

اختيار الشيء او ضده اختيارا حرا دون اكراه او اجبار ولذا وجدنا جنبلاط يرفض كل انواع الفلسفات الجبرية وفكرة القدر على اساس قوة فوقية تتحكم بسلوكية الانسان الفرد وتوجهه من خارجه، فالقدر برأي جنبلاط كما هو برأي الموحدين ليس الا ردة فعل التصرف الانساني في هذه الحياة الدنيا وفي حيوات سابقة كما قال السيد المسيح بالكيل الذي تكيل يكال لك.

بهذا بنى جنبلاط معادلته الشهيرة على صعيد الانسان الفرد الثنائية داخل الوحدة بين الجسد والنفس ثم الثنائية داخل الوحدة في النفس بين العقل والحرية ثم الثنائية داخل الوحدة في العقل بين الحرية والمسؤولية فلا يمكن تخيل وجود العقل حيث لا حرية ولا يمكن تخيل وجود الحرية حيث لا مسؤولية فكلما يزداد الانسان الفرد معرفة ويزداد تناغما مع قوانين العقل الكلي كلما يزداد حرية في الاختيار والتنفيذ وابتعد عن الجبهات وتأثير القوى الخارجية وهنا يتجلى في فكر جنبلاط ارتباط العقل بالحرية وارتباط الحرية بالمسؤولية فالانسان يصنع قدره بيديه في هذه الحياة وفي حيوات اخرى فهو كائن في المكان الذي صنعت له اعماله الحالية والسابقة وفي الموقع الذي اوصلته اليه مقدمات اعماله السابقة حسب قانون السببية في علاقة المعلول بعلة بهذا تكون العدالة الكونية موجودة والقانون السائد وقانون الفعل وردة الفعل. فالانسان العاقل وحده انسان حر ولانه حر هو انسان مسؤول يخلق له خلقا مشاركا بذلك الله في عملية الخلق والابداع هو مسؤول عن هذا العمل الذي يخلقه وتلحق به تبعات هذا العمل في حياته هذه وفي حيوات اخرى جاء على قانون لكل فعل ردة فعل تساويه في القوة.

البعد الثاني للانسان انه كائن اجتماعي بالفطرة يؤثر بالآخرين ويتأثر بهم ايجابا او سلبا، والمجتمع برأي جنبلاط ليس مجموعة افراد يتراكمون عدديا بل هو كيان يملك عقلا جماعيا يطبع الافراد رغم تعددهم بطابع وحدوي توحيدي فيكون بمنزلة النقطة التي تتقاطع فيها كل الخطوط رغم تباين تلك الخطوط وتنوعها. اذا ما كان تراكم الافراد متناغما متناسقا غدا التراكم العددي نسيجا عضويا متكاملا فكل فرد خلية عاملة بتمايز في جسد واحد له كينونة واحدة اسمه المجتمع. فكما اللحن هو مجموعة الاف النغمات الصوتية المتناسقة والضجيج ومجموعة الاف النغمات الصوتية

المتنافرة هكذا يكون المجتمع الحضاري لحننا موسيقيا يشغف آذان البشر والالهة والمجتمع المتخلف ضجيجا يولد الازعاج والتناقض ويقود الى الجنون في كثير من الأحيان هذا المجتمع اللحن المتناسق بنغمات افراده هو مجتمع الكفاية والعدل الذي حدثنا عنه جنبلاط.مجتمع الانتاج على اساس حاجة ابنائه على اساس الربح المادي. والذي يحسن توزيع انتاجه فلا تراكم رأسمالي هنا ولا فقر مدقع هناك انه مجتمع يقدر العمل وشعاره الانسان يخلق نفسه عبر العمل ويجد ذلك الخلق ويطوره باتجاه كمال نوعه.ولذا يصبح العمل فرحا وغبطة يمارسه العامل كما يمارس الطفل اللعب.كان جنبلاط يقول دائما اعملوا كأنكم تلعبون بفرح وغبطة عندها يصبح العمل جميلا لذاته لا لما يسفر عنه من نتائج مادية والعدالة برأي جنبلاط ليست ديمقراطية عددية بل انتخاب طبيعي.انها ديمقراطية النخبة الواعية لا ديمقراطية الجماهير الغوغائية التي اثر البهتان فيها وانطلى الزور عليها يا لها من ببغاء عقلها في اذنيها وهذه العدالة تثمر فضيلة كما النار تثمر دفئا والثلج يثمر برودة فعلاقة العدالة بالفضيلة كعلاقة البنفسج بطيبه والورد بمائه انهما وجهان لحقيقة واحدة لا فضيلة حيث لا عدالة ولا عدالة حيث لا فضيلة وبهذا يكون جنبلاط قد اخرج الفضيلة من اطارها الفردي الحصري على الطريقة التوراتية لا تقتل لا تزني لا تشتهي امرأة جارك الى الفضيلة بمعناها الاجتماعي دع عمالك يتناسق مع عمل الاخرين دع افكارك تتناغم مع افكار الاخرين اعتبر سعادتك جزءا من سعادة الاخرين احترم القوانين التي صاغها عقل المجتمع العام انها التقاليد والاعراف المقدسة وكما العدالة والفضيلة وجهان لحقيقة واحدة يغدو الظلم والرذيلة وجهان لحقيقة واحدة والكل مرتبط بالجماعة والجماعة هي تعددية في قلب الوحدة

بعد الانسان الثالث عند جنبلاط هو بعد الانسان الكوني المتأله التي تبدأ رحلة كونيته بافراغ قلبه من اي هوى سابق للجماعة الضيقة ابتداء بالاسرة فالقبيلة فالوطن فالقومية على حساب الحقيقة العقلية الثابتة في شموليتها وافراغ عقله من اي فكرة سابقة صاغتها غرائز منفعة الذات او القبيلة او الوطن او القومية.الانسان الكوني لا يهوى الا الحقيقة ببهاء عدالتها وخيرها وجمالها الحقيقة التي هي تجسد لنواميس الوجود الثابتة في هذا العالم الحسي المتحرك باستمرار انها حب الثابت في لعبة

المتحرك حب السرمدى الخالد فى لعبة التركيب والتحلل فى لا نهائيتها حب العقل الكلى فى تألقه على مرأى العقول الجزئية الانسان الكونى هو الانسان الذى يؤمن بأن هناك حقائق بديهية فطرت عليها عقول جميع البشر هى القواسم المشتركة التى تعطى النوع البشرى خصائصه المميزة التى يجب على الجميع محاكاتها فى وسائلهم وغاياتهم فى سكون تأملهم وحركة عملهم بالرغم من وجود متغيرات بين الشعوب والافراد هى افرازات لاختلاف الانظمة الاقتصادية والسياسية والمناخية يجب الا نتجاهلها

هنا ابتدع جنبلاط فلسفة خاصة به بلغت ذروة الكمال فهو مع الحرية على صعيد الانسان الفرد ولكن ليس على طريقة الثورة الفرنسية التى افترزت الفردية الرأسمالية البغيضة التى عبثت بمقدسات الخير العام للمجتمع من اجل حرية الفرد. وهو مع التنظيم الاجتماعى وتوجيه الاقتصاد والتربية ولكن ليس على طريقة النازيين والفاشييين والماركسيين الذين نحروا الحرية وقدموها قربانا على مذبح المجتمع. جنبلاط يربط المراحل ببعضها حسب قانون السببية الارسطاطاليسية فالانسان الفرد لا يحقق ذاته الا اذا امتلك ومارس العقل والحرية والمسؤولية ثلاثة اقانيم فى اقنوم واحد والانسان الاجتماعى لا يحقق ذاته الا عبر العمل المنتج حسب الحاجة لا حسب الربح والموزع دخله بعدالة تثمر الفضيلة فى العلاقات العامة فبنى المثلث الثانى عمل عدالة فضيلة ثلاثة اقانيم فى اقنوم واحد والانسان الكونى لا يحقق ذاته الا بانتمائنه الكامل الى الحقيقة العقلانية التى هى نور شعشعاني يفيض باستمرار من الذات الالهية باتجاه الخلق فجنبلاط يعتبر وبوضوح ان السفر الى الله لا يتم الا على صراط مستقيم اسمه العقل فالعقل باب مدينة الله ووجنته وسدره منتهاه

وبهذا تكون علاقة جنبلاط بالمذاهب الصوفية بمنزلة علاقة الهولى بالطبائع الاربعة داخله فيهم خارجه منهم. انه مع التصوف فى انجذاب العقل البشرى الجزئى الى العقل البشرى الكلى وذوبانه فيه كما تذوب مياه الانهر فى البحر المحيط. مع التصوف فى الاتحاد بالله حتى تختفى الأنا الذاتية ليس عن طريق الانعدام بل كما تختفى صورة النجوم فى وضوح النهار حتى اذا انحسر ضوء الشمس عادت صور النجوم لتظهر كما هى. جنبلاط ضد نظرية الحلول التى قال بها بعض المتصوفون

الذين ادعوا ان الانسان اذا تطهر وتصفى عبر المجاهدة والزهد حل الله فيه فاصبح هو الله والله هو.ايها السادة بين نظرية الاتحاد ونظرية الحلول فرق شاسع وبين نظرية انجذاب الجزء الى الكل وعودة الفرع الى الاصل ونظرية وحدة الوجود فرق شاسع فجنبلاط سعى عبر انسانيته الكوني ليجعل منه انسانا متألها لا انسانا الها وحالة التأله حالة زئبقية يحكمها قانون الحركة الذي هو جوهر هذا الوجود ولذلك لا يدوم الثبات في مقام الاتحاد الا برهات ثم ينكص الانسان على عقبيه ويرتد الى محدود آدميته وصلصال حواسه تحت حكم الزمان وحصر المكان بعد ان يكون بشطحته الصوفية الاتحادية قد عانق اللامحدود واصبح الزمان والمكان في قبضته يأتَمرون باوامره لانه في تلك اللحظة يفقد اناه فاذا نطق فانما الله ينطق بلسانه واذا سعى فانما الله يسعى بقدمه.ولهذا قيل احذروا فراسة المؤمن لانه ينظر فيكم بعين الله .

الجديد الثاني الذي قدمه جنبلاط انه برهن بأن عقل الانسان وحرية كفره لا يتناقضان مع عمله وعدالته كمجتمع ولا مع انجذابه واتحاده بالله كإنسان كوني ولكنها دوائر لولبية القاعدة فيها تقود الى لفها في حركة جدل صاعد ثم تتحرك القمة باتجاه القاعدة في حركة جدل هابط،وكما بدأت كلامي انهيه نحن نأخذ من فكر المعلم على مقدار عقولنا لا على مقدار عقله فنعلم شيئاً وتغيب عنا اشياء وشكرا

وذاك اعز دار للحبيب  
ويعصرها فتقطر بالطيوب  
يرتل في الشروق وفي الغروب  
حليم في الشباب وفي المشيب  
وفرجت من الوجه الكئيب  
يضيء من الشمال الى الجنوب

كمال العرب انك في ضميري  
وبي شوق اليك يهز نفسي  
فصوتك بين اضلاعي يشيد  
كريم بالسجايا والمزايا  
اشعتم في ريحانا وروحا  
كمال العرب هل ابصر نورا

لجنة احياء تراث كمال جنبلاط

رئيس اللجنة

6/12/1996 كمال سري الدين